# جهود الجغرافيين العرب في صناعة الأطالس اللّسانيّة

عقيلة أرزقي[1]

تاريخ الاستلام : 03- 12- 2018 تاريخ القبول: 08- 01- 2019

**الملخّص**: أدّى الانتشار الجغرافيّ الواسع للجماعات البشريّة إلى ظهور تنوّع لسانيّ ملحوظ، رغم أنّ هذا اللّسان ينتمي في حقيقته إلى أصل لغويّ واحد وأمام هذا التّعددّ اللّسانيّ سواء أكان لغويّا أم لهجيّا، بات من الضّروري وضع حدود لسانيّة جغرافيّة تساعد على جمع المناطق الّتي تشترك في الظّواهر اللّغويّة نفسها بيانا لتأثيرها على غيرها وتأثّرها بها وتسهيلا لدراستها؛ وهو ما قام به علماء علم اللّغة الاجتماعيّ؛ حيث أطلقوا على هذا النّوع من الدّراسة بـ: (اللّسانيات الجغرافيّة)، وكان الهدف منه هو معرفة التّغيرات الحاصلة في اللّغة أو اللّهجة وربطها ببيئتها الجغرافيّة؛ وقد ابتكرت عدة طرق لدراستها، لعلّ أهمّها وضع **الأطالس اللّغويّة**.

ولأهمّيّة هذا الموضوع، جاءت هذه الأوراق البحثيّة الموسومة بـ: (**جهود الجغرافيين العرب في صناعة الأطالس اللّسانيّة** ) تهدف إلى إبراز الجهود الّتي قام بها الجغرافيون العرب قديما لرسم ملامح الأطالس اللّسانيّة،

عن طريق تحديد مواقع تنوع اللّغات واللّهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، بيانا لتأثير بعضها على بعض.

وتأسيسا على ما تقدّم، انطلقت ورقتنا البحثيّة من التّساؤل التّالي: ما المقصود بالأطالس اللّسانية؟، وما الجهود الّتي قام بها الجغرافيّون العرب لوضع تلك الأطالس اللّسانيّة؟، وهل كانت فكرة وضع الأطالس اللّسانيّة فكرة بحث

جامعة البليدة - 2- ، عليّ لونيسي، العفرونّ ، البريد الإلكترونيّ : univer.blida@gmail.com

لسانيّ مقصود مبنيّ على أسس لغويّة بمنطلقات جغرافيّة أم جاءت عفويّة بفعل التّحديدات الجغرافيّة للمناطق؟، وما أهميّة هذه الأطالس اللّسانيّة في دراسة اللّغات واللّهجات؟

وللإجابة عن الإشكاليّة المطروحة سنتّبع المنهج التّاريخي لتتبّع نشأة الأطالس عند العرب والغرب كما سنتتبّع المنهج الوصفيّ لتحليل تلك الظاهرة وإبراز أهميّتها ودورها في مجال دراسة اللّغات وعلاقتها ببعضها البعض وعلاقها باللّهجات.

**المصطلحات: جهود، الجغرافيون، العرب، صناعة، الأطالس اللّسانيّة.**

**Summary:** The wide geographical spread of human groups led to the emergence of a noticeable linguistic diversity, although this tongue belongs in fact to a single linguistic origin. In the face of this multilingualism, whether linguistically or linguistically, it is necessary to establish geographical linguistic boundaries that help to collect regions that share linguistic phenomena The same was done by social linguists; they called this type of study: (geographical linguistics), the purpose of which is to know the changes in the language or dialect and connect it to its environment A number of methods have been devised to study them, most notably the development of linguistic atlases.

The importance of this subject is based on the efforts of Arab geographers in the linguistic atlases industry to highlight the efforts made by ancient Arab geographers to draw the features of the linguistic atlases by identifying the locations of the diversity of languages and dialects in one geographical area, Each other.

Based on the above, our research paper started from the following question: What is meant by Atalas linguistics ?, What are the efforts of the Arab geographers to put these linguistic atlases ?, Was the idea of the development of the linguistic atlas a linguistic research idea based on linguistic bases with geographical or spontaneous Due to geographical limitations of the regions? And what is the importance of these linguistic atlases in the study of languages and dialects?

We will follow the descriptive approach to analyze this phenomenon and highlight its importance and role in the field of study of languages and their relationship to each other, and its relationship dialects.

**Keywords**: efforts, geographers, Arabs, industry, linguistic atlases.

**مقدّمة:** أدّى الانتشار الجغرافيّ الواسع للجماعات البشريّة إلى ظهور تنوّع لسانيّ ملحوظ، رغم أنّ هذا اللّسان ينتمي في حقيقته إلى أصل لغويّ واحد وأمام هذا التّعددّ اللّسانيّ سواء أكان لغويّا أم لهجيّا، بات من الضّروري وضع حدود لسانيّة جغرافيّة تساعد على جمع المناطق الّتي تشترك في الظّواهر اللّغويّة نفسها بيانا لتأثيرها على غيرها وتأثّرها بها وتسهيلا لدراستها؛ وهو ما قام به علماء علم اللّغة الاجتماعيّ؛ حيث أطلقوا على هذا النّوع من الدّراسة بـ: (اللّسانيات الجغرافيّة)، وكان الهدف منه هو معرفة التّغيرات الحاصلة في اللّغة أو اللّهجة وربطها ببيئتها الجغرافيّة؛ وقد ابتكرت عدة طرق لدراستها، لعلّ أهمّها وضع **الأطالس اللّغويّة** أو ما يعرف بـ: **الأطالس اللّسانيّة.**

ولأهمّيّة هذا الموضوع، جاءت هذه الأوراق البحثيّة الموسومة بـ: (**جهود الجغرافيين العرب في صناعة الأطالس اللّسانيّة** ) تهدف إلى إبراز الجهود الّتي قام بها الجغرافيون العرب قديما لرسم ملامح الأطالس اللّسانيّة، عن طريق

تحديد مواقع تنوع اللّغات واللّهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، بيانا لتأثير بعضها على بعض.

وتأسيسا على ما تقدّم، انطلقنا من خلال ورقتنا البحثيّة من التّساؤل التّالي: ما المقصود بالأطالس اللّسانية؟، وما الجهود الّتي قام بها الجغرافيّون العرب لوضع تلك الأطالس اللّسانيّة؟، وهل كانت فكرة وضع الأطالس اللّسانيّة فكرة بحث لسانيّ مقصود مبنيّ على أسس لغويّة بمنطلقات جغرافيّة أم جاءت عفويّة بفعل التّحديدات الجغرافيّة للمناطق؟، وما أهميّة هذه الأطالس اللّسانيّة في دراسة اللّغات واللّهجات؟

وللإجابة عن الإشكاليّة المطروحة سنتّبع المنهج التّاريخي لتتبّع نشأة الأطالس عند العرب والغرب، كما سنتتبّع المنهج الوصفيّ لتحليل تلك الظاهرة وإبراز أهميّتها ودورها في مجال دراسة اللّغات وعلاقتها ببعضها البعض وعلاقاتها باللّهجات.

إنّ الحديث عن **الأطالس اللّسانيّة** يقودنا حتما إلى الحديث عن مجاله اللّسانيّ، وأقصد به **اللّسانيّات الجغرافيّة**، ذلك الفرع من علم اللّغة الحديث الّذي يهتمّ بدراسة التّنوع في استعمال اللّغة عند أشخاص أو جماعات من أصول لغويّة مختلفة" [1]، كما يهتمّ بدراسة الفروق اللّغويّة الخاصّة بلغة ما، ويحدّد اختلافات اللّغات أو اللّهجات في خرائط لغويّة [2] من خلال معرفة حدود الظّواهر اللّغويّة عن طريق وضع مصوّر لغويّ بين المناطق اللّغويّة أو ما يعرف بـ: **الأطلس اللّغويّ**.

ومن بين التّعريفات الّتي عرّفت بها اللّسانيّات الجغرافيّة أنّها " دراسة إقليم جغرافيّ معيّن دراسة جغرافيّة وتاريخيّة واجتماعيّة في وحدة لغويّة واحدة" [3].

فالتّنوّع الجغرافيّ يعدّ من المسائل الّتي اهتمّ بها علم اللّغة أثناء دراسته، " فلا غنى في دراسة ذلك كله وسواه، عن الاستعانة بمعلومات من التّاريخ والجغرافيا [4].

وإلى مثل ذلك أشار الباحث الإيطاليّ ماريو باي إلى علم اللّغة الجغرافيّ مبيّنا أنّ وظيفته تكمن في وصف طريقة توزيع اللّغات في مناطق مختلفة، ويهتم بدراسة طرق تفاعلها ببعضها البعض، كما يَظهر من خلاله أثر العامل اللّغويّ في تطوّر المجتمعات فكريّا وثقافيّا [5].

وعليه فإنّ اللّسانيّات الجغرافيّة تعنى بدراسة اللّغة في إطارها اللّسانيّ الجغرافيّ عن طريق وضع أطالس لسانيّة جغرافيّة.

أمّا عن مصطلح **الأطالس اللّسانيّة** فنجده مصطلحا مركّبا من مصطلحين، **الأطالس** و**اللّسانيّة**؛ حيث ارتبط مفهوم الأطالس بالمجال الجغرافيّ وهو " مجموعة خرائط منظّمة، مصمّمة لتمثّل مساحة ما وتقدّم موضوعا أو عدّة مواضيع" [6]، في حين ارتبط مفهوم اللّسانيّة بالمجال اللّغويّ، وتعني الدّراسة العلميّة والموضوعيّة للسّان البشريّ، أو كما يعرّفها علماء اللّغة هي ذلك "العلم الّذي يدرس اللّغة دراسة علميّة ووصفيّة" [7].

فمفهوم **الأطالس اللّسانيّة** إذن يحيل إلى" توزيع اللّغات أوِ الفصائل اللّغويّة على منطقة أو أكثر من الكرة الأرضيّة" [8]، وذلك بوضع خرائط تبيّن الحدود اللّغويّة لكلّ منطقة منها، ومنها الأطالس اللّهجيّة، والّتي يرتكز مفهومها على " توزيع الظّواهر اللّهجيّة للغة معيّنة لمنطقة معيّنة" [9].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بدراسة اللّهجات تولّد عنه علم قائم بذاته اصطلح عليه بعلم اللّهجات أو بعلم جغرافية اللّهجات، وكان الباحثون الأوروبيّون والأمريكيّون من الأوائل المهتمّين به منذ القرن التّاسع عشر ميلاديّ [10].

وما تجدر الإشارة إليه أنّه من الصّعب وضع الأطالس اللّهجيّة، فهي تتطلّب مسحا جغرافيّا ميدانيّا كبيرا، ووقتا طويلا، ذلك أنّ اللّهجة لا تثبت على حال واحدة، فظواهرها كثيرة الحركة والتّغيّر تخضع لقانون التّأثير والتّأثّر وتتحكّم بها عوامل جغرافيّة واجتماعيّة ونفسيّة، بينما نجد أنّ وضع الأطالس

اللّسانيّة أقلّ صعوبة وتعقيدا، فهو يحتاج منهجا واضح المعالم، فالحدود الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة حدود واضحة ثابتة.

وعليه؛ فإنّ الأطالس اللّسانيّة تعدّ بحثا لغويّا مبنيّا على منطلقاتٍ جغرافيةٍ يعتمد على مراقبة اللّغة المحكيّة بهدف جمع واستقصاء صور التّنوع اللّغويّ في شكل عيّنات لسانيّة متداولة ليتمّ تصنيفها في خرائط لسانيّة خاصّة.

وقد ظهر هذا الضّرب من الدّراسات عند الغربيّين في النّصف الثّاني مِنَ القرنِ التّاسعِ عَشَر ميلاديّ نتيجة عجزهم عن وضعِ قوانين التّغير الصّوتيّ لصيغٍ منضبطةٍ تمثلت عندهم باللّسانِ الفصيح، لذا عمدوا إلى استقصاء صور التّنوع اللّهجيّ المتمثّل باللّهجات المحليةِ عن طريق المقارنة لإثبات اطّراد القوانين الصّوتيّة [11].

وقد حازت ألمانيا السّبق في ذلك؛ حيث اعتمدتِ التّجربة الألمانيّة الّتي قادها **جورج ونكر** على جمع جمل وصلت إلى الأربعين جملة ممثّلة أهمّ ما يتداوله النّاس في شكل استبيان، تمّ إرسال نسخ منها في كلّ نواحي ألمانيا بإعانة من الحكومة للمقارنة بين اللّهجة وبين اللّغة النّموذجيّة بمعنى الفصيحة، وقد خصّص لكلّ كلمة خريطة خاصّة مع إظهار صيغتها ومرادفها على خرائط تفصيليّة وكذا تحديد المناطق المختلفة، وانطلاقا من هذه الأخيرة تُحدّد الخرائط العامّة مُبيّنة الحدود اللّغويّة النّهائيّة [12].

بعدها ظهرت تجربة أخرى فرنسيّة الأصل قادها **جليرون**؛ حيث اعتمد فيها على اختيار الأقاليم اللّغويّة انطلاقا من الخريطة ليتمّ استقراء أصحابها مشافهة وتدوين ذلك، وبعد هذا العمل الميدانيّ يتمّ دراسة ما جمع بهدف معرفة الخصائص اللّهجيّة في مجال الأصوات والصّيغ لتُسجّل النّتائج على خرائط خاصّة [13].

وانطلاقا من التجربتين يظهر أنّ تجربة وينكر تتّسم بالشّمولة والعموم ذلك أنّها تهتمّ بذكر روايات اللّفظ الواحد، بينما نجد تجربة جليوون تتّسم بالدّقة

ذلك أنّها تشترط في الرّواة أن يكونوا على قدر بالغ من التّمكن اللّغويّ الذي يسمح لهم بتدوين اللّغة بطريقة صحيحة، ولعلّ هذا ما أدّى إلى انتشار تجربة **ونكر وجليوون** في وضع الأطالس لتتوسّع تلك الفكرة فتصل إلى بلدان أوروبيّة وأمريكيّة كإيطاليا، وسويسرا، والسّويد، والنّرويج، وانجليترا.

وتعدّ تجربة المستشرق الألماني براجشتراسر سنة 1914م أوّل تجربة في البلاد العربيّة في العصر الحديث؛ حيث قام بوضع أطلس لغويّ لسوريا ولفلسطين تمثّل في اثني وأربعين خريطة تفصيليّة وواحدة إجماليّة، مع شرح لغويّ في كتاب مستقلّ، وهذا بحثا عن اختلاف اللّهجات الدّارجة بها، فمكث في سوريا ثمّ انتقل إلى حلب في الشّمال، ثم اتّجه إلى فلسطين ولبنان مستعينا في ذلك بالمحاولة الألمانيّة [14].

وقد مكّنه ذلك من الوقوف على التّغييرات الحاصلة في المستوى الفونولوجي حيث لاحظ أنّ طريقة نطق أهل الوبر تختلف عن أهل المدر، كما سجّل أيضا ملاحظات قيّمة تشير إلى الاختلافات في الصّيغ بين الحضريين في الشمال والحضريين في الجنوب، وبين بدو الغرب وبدو الشّرق [15].

وتجدر الإشارة إلى أنّ محاولة هذا المستشرق لم تكن تهدف إلى كشف أسباب هذا التّنوع، بل كانت تهتمّ بتسجيل الواقع اللّغوي المحكيّ وصلته ببعضه البعض بطرق مختلفة وبمنطلقات جغرافيّة وبمنهج وصفيّ يتحرّى الدّقة إلى حدّ كبير.

أمّا عند العرب القدامى فكان الأمر مختلفا، ففكرة الأطالس اللّسانيّة فكرة قديمة كانت متجسّدة في عمل منهجيّ غير مقصود لذاته وإنّما كان الهدف هو جمع اللّغة الفصيحة عن طريق استقراء أهلها حفاظا على القرآن الكريم من اللّحن والزّيغ، وهو ما جعلهم يحدّدون جغرافيّا رقعة الفصاحة في بعض القبائل الّتي يُشهد لها بالفصاحة تاركين بعضها الآخر الّتي لا يُشهد لها بذلك.

وفي حقيقة الأمر لا يوجد بين أيدينا نصوص قديمة تُحدّد الرّقعة الجغرافيّة للفصاحة تحديدا مضبوطا يكشف من خلاله عدد القبائل الّتي أخذت عنها اللّغة الفصيحة سوى النّص الّذي نقله إلينا السّيوطي (ت791ه) عن الفارابيّ الّذي يقول فيه: " والّذين عنهم نُقلت اللّغة العربيّة، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللّسان العربيّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الّذين أكثر ما أخذ ومعظمه، ثمّ هذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيّين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنّه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكّان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم الّتي تجاور سائر الأمم الّذين حولهم فإنّه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام، فإنّهم كانوا مجاورين لأهل الشّام وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربيّة، ولا تغلب ولا نمر، فإنّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانيّة، ولا بكر لأنّهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولا أُزد عمان لمخالطتهم الهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكّان اليمامة، ولا من ثقيف وسكّان طائف لمخالطتهم تجّار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأنّهم الّذين نقلوا اللّغة صادفوا حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطهم غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم والّذي نقل اللّغة واللّسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرها علما وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب" [16].

وإذا قارنا بين هذا النّص، والنّص الأصليّ **للفارابي** (ت339ه) نجده يفتقر للتّفصيل الّذي ذكره السّيوطيّ، وأنت ترى ذلك من خلال قول الفارابي، حيث قال فيه: " وأنت تتبيّن ذلك متى تأمّلت أمر العرب في هذه الأشياء، فإنّ فيهم سكّان البراري وفيهم سكان الأمصار. وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الّذي تولّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة

من أرض العراق، فتعلّموا لغتهم والفصيح منها ومن سكّان البراري منهم دون الحضر، ثمّ من سكّان البراري من كان أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحشّا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا وهم: قيس وتميم وأسد وطيء ثمّ هذيل. فإنّ هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقون فلم يؤخذ منهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسّريانيّين وأهل الشّام وأهل مصر" [17].

فالمتأمّل في هذا القول، يجد الفارابي قد لمّح فقط لتلك القبائل الّتي لم يُؤخذ عنها دون التّعمّق في إبرازها عكس ما فعل بالقبائل الّتي لم يؤخذ عنها، في حين نجد السّيوطي قد فصّل وشرح وتوسّع في قوله؛ ومن هذا يتّضح أنّ مضمونهما يكاد يكون واحدا، ونضيف قائلين أنّ هذا المعيار في الأخذ كان محدّدا بعدم الاختلاط بالأعاجم يستند إلى موقع جغرافيٍّ وقد تبيّن لنا أنّ اللّغويّين من أصحاب التّحري كأبي عمرو بن العلاء (ت154ه) والخليل (ت175ه) وسيبويه (ت180ه) والأصمعي (ت216ه) قد جعلوه معيارا ثابتا لأخذ اللّغة الفصيحة، وفي ذلك يقول المرحوم الحاج صالح(ت2017ه): " فالفصاحة هي في الأصل الملكة اللّغويّة الخاصّة بالّذين يفهمون وينطقون باللّغة الّتي نزل بها القرآن، وهم كمرجع زمانيّ ومكانيّ – نقطة الصّفر- أولئك الّذين عاشوا في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم فكلّ من كان يوصف بالفصاحة بلغته فمرجع فصاحته في الزّمان والمكان" [18]، وفي موضع آخر قال فيه: " فالوضوح النّاتج عن الشّيوع واتّساع رقعة الاستعمال جغرافيّا هو جانب هامّ يستلزمه مفهوم الفصاحة اللّغويّة، كما تصوّرها العلماء الأوّلون أمثال سيبويه وشيوخه [19].

ومعنى ذلك أنّ مقياس الفصاحة عندهم متعلّق بأمرين، فأمّا الأوّل فهو متعلّق بمدى مطابقة كلام العرب في قواعده للغة القرآن الكريم، وأمّا الثّانيّ فهو متعلّق بالمعيار المكانيّ والزّمانيّ.

وإلى مثل ذلك ذهب ابن خَلدون في مُقَدِّمَتِهِ في وصفه لبعض البيئاتِ اللّغويّة مثْل مُضَرٍ مِنْ قُرَيشٍ وكِنَانَة وثَقيف وَبَني أسد وهُذيلٍ ومن جاورهُم مِنْ خُزَاعة إذْ إنّ سكَّانَ هَذهِ القبائلَ حَسْبَ وصفهِ كانوا أهلَ شَظَفٍ وَمَواطِنَ غَيْرَ ذَاتِ زرعٍ ولا ضرعٍ [20].

انطلاقا من ذلك يتبيّن أنّ المنطقة البدويّة الّتي تمثّل الرّقعة الجغرافيّة تعدّ علامة مهمّة على الفصاحة لابتعادها عن أيّ تأثير أو تأثّر أجنبيّ يُفسد لغتها الفصيحة، لذلك بقي الأخذ منها حتى القرن الرّابع هجريّ حين لم يبق فيها لسان فصيح يُعتدّ بفصاحته، كما أنّ المطّلع لهذه المسألة يتأكّد من حرص علماء العرب على وضع معايير لمعرفة الفصيح من غيره.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا العمل يندرج ضمن المفهوم الاصطلاحيّ للأطلس اللّسانيّ الجامع بين اللّغة والجغرافيا، وهو يؤكّد أيضا أنّه كان عند العرب بذور علم اللّغة الجغرافيّ الّذي يدرس العلاقة بين الظّاهرة اللّغويّة ومجال انتشارها، وإن لم تكن على نحو علميّ واضح المعالم.

ولم تكنِ التّجربة العربيّة الوحيدة في هذا المجال البحثيّ، فالنّاظر في تاريخ العرب يجد أنّ هناك عدّة تجارب نستطيع أن ندرجها في هذا المجال علما أنّها لم تكن فكرة بحث لسانيّ مقصود مبنيّ على أسس لغويّة بمنطلقات جغرافيّة بل كانت عفويّة بفعل التّحديدات الجغرافيّة للمناطق، وهو ما قام به عدد من الرحّالة والجغرافيّين الّذين أدركوا الصّلة الوثيقة بين اللّغة والجغرافيا.

فبعد استقراءٍ طويلٍ تبيّن أنّ كتبهم قد احتوت الكثير من الملاحظات اللّغويّة خاصّة تلك الّتي تحتاج إلى تحديد جغرافيّ، ويمكن الاستشهاد بتلك التّجارب الّتي نقلت إلينا عدّة مسائل لغويّة خاصّة تلك الّتي تهتمّ بالجانب الصّوتيّ

والجانب المعجميّ، **فالمقدسي** (ت380ه) مثلا عالج الكثير من المسائل الصوتيّة في كتابه " **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**"، والشّاهد على ذلك قوله: " أمّا لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير أنّهم يكسرون أوائل الكلم، وفيه رخاوة، وأهل طوس ونسا أحسن لسانا، وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه، ولسان بست أحسن، ولسان هراة وحش، تراهم يتكلفون ويتحاملون، ولسان بلخ أحسن الألسن إلاّ أنّ لهم فيه كلمات تستقبح... إلخ" [21].

كما اهتم أيضا في الكتاب نفسه [22] بالجانب المعجميّ؛ حيث نجده يرد بعض الألفاظ الّتي يطلقها أهل الأقاليم على الأشياء، ومثال ذلك: تسمية أهل مكّة ما نزل عن المسجد الحرام المسفلة، وما ارتفع عنه المعلاة تسمية أهل مكّة المكرّمة حجر إسماعيل الحَطيم، تسمية أهل العراق كلّ ما وراء الفورات شاما، وتسمية أهل الأندلس الرّستاق إقليما، تسمية أهل جرجان العالم معلّما.

كما ذكر في كتابه أيضا ما تختلف فيه الأقاليم من التّسميات، فيقول: "وأمّا الأشياء الّتي يختلف فيها أهل الإقليم فهي مثل: لحام، جرّار قصّاب كُرْسف عطب قطن، قطّان حلاّج...، طبّاخ بقّال تاجر، ميزاب مِرزاب مِزْراب... قُدرة بُرمة، مَوْقدة أثافي..." [23]، وكأنّه كان يشير إلى ظاهرة التّرادف.

كما تعرّض **ابن بطوطة**(ت777ه) [24] للموضوع نفسه عندما تحدّث أن اختلاف الشّعوب في تسمية الأشياء، وممّا ذكره من تسميات العرب: تسمية المغاربة أمّ الحُبين بـ: حنيشة الجنّة، تسمية المصريين الفندق بالخان، تسمية أهل مكّة القفّة بالمِكْتَل، تسمية أهل السودان الذئب بـ: وُجّين.

وقد ذكر **الحموي** (ت626ه) في كتابه **معجم البلدان** بعض التّغييرات الصّوتيّة لأهل المغرب منها استبدالهم صوت اللاّم بصوت النّون، فيقولون: "تنمسان بدلا من تلمسان" [25]، كما ذكره **الإدريسي** (ت560ه) أيضا في **نزهة**

**المشتاق** [26]، أمّا **العبدري** (ت688ه) فقد نسب إبدال القاف همزة إلى أهل القاهرة، فقال: " اللكنة فيهم فاشية وجهورهم يجعل القاف والكاف همزة" [27].

ونجد الجغرافيّ **الحسن بن أحمد الهمداني** (ت336ه) في كتابه **صفة جزيرة العرب** يتعرّض للغة أهل الجزيرة بيانا لفصاحتها من عدمها فيقول: " لغات أهل هذه الجزيرة: أهل السّحر والأشحار ليسوا فصحاء مَهْرة غُتم يشاركون الأعاجم، حضر موت ليسوا بفصحاء، وربّما كان فيهم الفصيح، وأفصحكم كندة وهمذان وبعض الصّدف...، صنعاء في أهلها بقايا من العربيّة المحضة ونبذ من كلام حيمر، ومدينة صنعاء مختلفة اللّغات واللّهجات، لكلّ بقعة منهم لغة ومن يصاقب شعوب يخالف الجميع...، وأمّا العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز، فنجد السّفلى إلى الشّام وإلى ديار مضر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلاّ في قراها. فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون تبغيض والتّفنين" [28].

فيتبيّن بالأدلّة القاطعة تبلور المفهوم الاصطلاحي سواء للسانيات الجغرفيّة أم للأطالس اللّسانيّة عند الجغرافيّين العرب، ولعلّ ذلك شكّل البذور الأولى الّتي زرعت في عقل الباحثين فكرة وضع أطالس لسانيّة بمنطلقات جغرافيّة، ويمكننا أن نستشهد ببعض التّجارب النّاجحة في هذا الحقل المعرفيّ، ومنها تجربة **خليل محمود عساكر** الّذي وضع أطلسا لسانيّا لمصر قدّم من خلاله مختلف لهجات مدينة فيّوم المصريّة [29].

وقد وضع **إبراهيم محمّد الخطاب** خطّة لوضع أطلس لسانيّ عن اللّهجات العربيّة المعاصرة في بحثه الموسوم بـ: "**الأسس المنهجيّة والنّظريّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ**" [30]، كما أنّ الباحث **أحمد عبد الله عبد ربه ياغي** قد ذلّل رسالته الموسومة بـ: " **الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب دراسة في ضوء علم**

**اللّغة** " بخرائط جغرافيّة تبيّن التّبادلات الصّوتيّة الّتي ذكرها الجغرافيّون مبيّنا أنّ تلك التّبادلات لها امتداد للقبائل العربيّة القديمة [31].

اهتمام الباحثين بالأطالس اللّسانيّة سواء أكان اهتماما مقصودا أم لم يكن مقصودا يُظهر بجلاء ما لهذه الأطالس من أهميّة بالغة في الدّرس اللّسانيّ ويمكننا الوقوف على بعض ما ذكره الأستاذ رمضان عبد التّواب في كتابه [32]:

- دراسة اللّهجات دراسة علميّة للوقوف على خصائصها اللّغويّة ولمعرفة التّغييرات الّتي طرأت عليها؛

- إثراء الدّراسات اللّغويّة في الفصحى، إذ يتيح المسح الجغرافيّ من كتابة تاريخ اللّغة في عصور مختلفة، كما يتيح لها معرفة أقرب اللّهجات إليها وأبعدها عنها؛

- يكشف لنا المسح الجغرافيّ علاقة اللّهجات العربيّة القديمة بلهجات الوطن العربيّ؛

- وسيلة من وسائل المقارنة لا بين الفصحى واللّهجات، ولكن بينها وبين اللّغات السّاميّة أيضا.

هذا، وقد أوضح العالم السويسريّ **شتيجر** أهميّة الأطالس في دراسة اللّغة العربيّة؛ حيث قال: " وبالنسبة للغة العربيّة، نقول: إنّ القيام بعمل أطلسيّ لغويّ لها، سيحدث ثورة في كلّ الدّراسات الخاصّة بفقه اللّغات السّاميّة؛ لأنّه سيكمل من غير شكّ، الدّراسات الّتي تعتمد على النّصوص القديمة، بكشفه عن التّطوّرات المتعلّقة باللّهجات، وباللّغات الشّعبيّة العصريّة، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطّلاعنا على تاريخ الأصوات، والتّغيّرات الّتي أصابت اللّغة العربيّة في الأماكن اللّغويّة الّتي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثّرها بالمراكز الثّقافيّة وتنوّع مفرداتها، إلى غير ذلك من المكتشفات، الّتي لا يمكن أن تتمّ إلاّ إذا اجتمعت هذه المواد. إنّه سيكون عملا ثقافيّا من الطّراز الأوّل، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وافخار في تاريخ الثّقافة العالميّة" [33].

هذا فضلا على أنّها مادّة مهمّة يمكن الاعتماد عليها لدراسة المجتمعات وتحوّلاتها، كما تفيد أيضا علماء النّفس والتاريخ، ولعلّ هذا ما أشار إليه الباحث السويسريّ **يود** عندما قال: " من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشّعب الفرنسيّ أو الإيطالي أو الاسبانيّ، إلاّ إذا عرفت اللّغات المحليّة لتلك البلاد، ودرست دراسة عميقة، تلك حقيقة خطيرة، أصبحت مقرّرة معروفة" [34].

**خاتمة:**

وتأسيسا على ما تقدّم، يمكننا في آخر هذه الدّراسة اللّسانيّة الجغرافيّة تسجيل أهمّ ما توصلّت إليه الدّراسة من نتائج، وأبرزها:

- تعدّ الأطالس اللّسانيّة الّتي استعيرت من علم الجغرافيا طريقة حديثة لتسجيل الظّواهر اللّغويّة على خرائط جغرافيّة تحديدا لمناطقها، وتسهيلا لدراستها؛

- فكرة الأطالس بدأت في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر ميلاديّ وكان رائدها الألمانيّ جورج ونكر ثمّ الفرنسيّ جليوون لتنتشر تلك التّجربة في كامل أوروبا وأمريكا وبعض المناطق الشّرقيّة؛

- تعدّ تجربة المستشرق الألمانيّ براجشتراسر عام 1914م أهمّ تجربة عربيّة لوضع الأطالس اللّسانيّة؛

- يحتفظ التّاريخ بجهود العرب القدامى في وضع الأطالس اللّسانيّة وذلك من أجل تحديد رقعة الفصاحة، فقد مثّل ذلك الإرهاصات الأولى لهذا العلم علما أنّها لم تكن فكرة مقصودة في ذاتها؛

- تميّزت جهود الجغرافيّين القدامى بازدواجيّة علميّة جمعت بين علم الجغرافيا وعلم اللّغة؛

- إنّ جهود الجغرافيّين يعدّ تجربة ناجحة لوضع الأطالس اللّسانيّة الّتي بموجبها تتحدّد صلة اللّغات واللّهجات ببعضها؛

- لم يخدم الجغرافيّون بما وصلوا إليه علم الجغرافيا وعلم اللّغة فحسب وإنّما خدم أيضا علم التّاريخ وعلم الاجتماع وعلم النّفس؛

- اعتمد علماء العربيّة من خلال عملهم التّطبيقيّ الأسس البحثيّة العلميّة نفسها الّتي اعتمدها الغربيّون، وذلك من خلال اعتمادهم على مبدأ

استقراء كلام الفصحاء ثمّ جمعه مع تحديد جغرافيّ للقبائل هذه الأخيرة الّتي تُمثّل اللّغة النّموذجيّة؛

- اتّخذ علماء العربيّة العزلة الجغرافيّة مبدأً للأخذ عنِ القبائل وهو يتناسب مع الأسس المنهجيّة الّتي وضعها الباحثون الغربيّون في صناعة الأطالس اللّسانيّة؛

- يكمن الاختلاف في وضع الأطالس بين العرب والغرب في أنّ علماء العربيّة قد باشروا في العمل الميدانيّ لينظّروا بعده لا ليقارنوا، في حين نجد أنّ الباحثين الغربيّين قد اتّجهوا نحو المسح الجغرافيّ لاستقصاء صور التّنوع اللّهجيّ لإثبات اطّراد القواعد اللّغويّة وتحديدا الصّرفيّة منها لمقارنتها مع اللّغة الفصيحة لا للتّنظير؛

- لا تختلف الخرائط الجغرافيّة عن الخرائط اللّسانيّة من حيث طريقة وضعها، وإنّما يكمن الاختلاف في المضمون؛ ذلك أنّ الثّانية تختصّ بتسجيل الظّواهر اللّغويّة؛

- إنّ عمل الأطالس اللّسانيّة ليس بالأمر السّهل؛ ذلك أنّه يتطلّب وقتا وجهدا ومساندة حكوميّة ناهيك عن التّغييرات الّتي تتعرّض لها اللّغة المحكيّة.

- للأطالس اللّسانيّة أهميّة لا يمكن حصرها، أبرزها:

❖ وسيلة من وسائل دراسة اللّغات واللّهجات؛

❖ يمكن من خلالها معرفة التّغييرات الّتي تصيب اللّغات واللّهجات خاصّة في مجال الصّوت والمعجم؛

❖ تبرز الأطالس اللّسانيّة قربا أو بعدا الصّلة الجامعة بين اللّغات واللّهجات وبين اللّهجات فيما بينها، ممّا يساعد على دراسة اللّهجة؛

❖ تساعد الأطالس اللّسانيّة على وضع مخطّط لغويّ يساعد في ترقية اللّغة العربيّة، باعتبار أنّه نشاط اجتماعيّ لغويّ موجه يتحكم في ظروف استخدام اللغات في المجتمع؛

❖ يعدّ وضع الأطالس عملا ثقافيّا يضاف إلى تاريخ ثقافة المجتمعات.

إنّ الدّراسة الجغرافيّة هي من أحدث وسائل البحث في علم اللّغة فهي مجال خصب للدّراسات اللّغويّة خاصّة عند الغرب، أمّا عن العرب فلايزال هذا المضمار البحثيّ في مهده يحتاج اهتماما كبيرا، وصبرا طويلا، ومساندة من المجامع العربيّة، لذا نأمل أن تهتمّ كل المجامع العربيّة بمثل هذه الدّراسات الّتي تمثّل علوما لسانيّة مطلوبة في هذا الحقل المعرفيّ، فالأطلس اللّغويّة عمل لسانيّ لا يخدم فقط الجانب اللّغويّ ويعمل على دراسته لمعرفة أسراره، وإنّما يخدم الواجهة الثّقافيّة لكلّ المجتمعات.

**قائمة المصادر والمراجع:**

- أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي أبو عبد الله، دار إحياء التّراث العربيّ 1987م.
- أسس علم اللّغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، مصر 1987م.
- الأسس المنهجيّة والنّظريّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ، الخطابي إبراهيم محمّد مجلة اللّسان العربيّ، 44ع، 1997م.
- الأطلس اللّغويّ، عساكر خليل محمود، مجلّة المجمع اللّغة العربيّة القاهرة، مصر 1953م.
- الأطلس اللّغويّ في التّراث العربيّ دراسة في كتاب سيبويه، د/ خالد نعيم، دار السّياب لندن، ط1، 2010م.
- الاقتراح في علم أصول النّحو، السّيوطي جلال الدّين، تح: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشّافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ط1، 1998م.
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة أبو عبد الله محمّد بن عبد الله، مطبوعات أكاديميّة، المملكة المغاربيّة 1997م.
- السّماع اللّغويّ العلميّ عند العرب ومفهوم الفصاحة، الحاج صالح عبد الرّحمن، موفم للنّشر، ط1، 2017م.
- صفة جزيرة العرب، الهمداني الحسن بن أحمد، تح: أحمد بن عليّ الأكوع الحوالي مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط2، 2008م.
- ظهور الإسلام، أحمد أمين، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة جمهوريّة مصر العربيّة 2012م.
- علم اللّغة الاجتماعيّ، هدسون، تر: محمود عيّاد، عالم الكتب القاهرة مصر، ط2 1990م.
- علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ، محمود السّعران، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- كتاب الحروف، الفارابي أبو نصر محمّد، تح: محسن مهدي، دار الشّرق، ط2، (د.ت).

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر (المعروف باسم مقدّمة ابن خلدون) ابن خلدون عبد الرّحمن بن محمّد دار العلم، بيروت، لبنان، ط6 1986م.

- اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّرا، عبد الغفّار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، لبنان، ط2 1990م.

- مجلّة حوليّات دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، مصر ع5 1976م.

- مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، رمضان عبد التّواب مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1997م.

- مقدّمة في لدراسة علم اللّغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر ط1، 2002م.

- معجم البلدان، ياقوت الحموي شهاب الدّين أبو عبد الله، دار صادر بيروت، لبنان، (د.ت).

- المعجم المصطلحات الألّسنيّة –فرنسيّ انجليزي عربيّ- ، د/ مبارك مبارك، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، 1995م.

- معجم المصطلحات الجغرافيّة، بيار جورج، تر: محمّد الطقيلي وهيثم اللمع، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر والتّوزيع، (د.ط)،(د.ت).

- المعجم الموحّد للمصطلحات اللّسانيّة – انجليزي فرنسيّ عربيّ- المنظّمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم، مكتب تنسيق التّعريب، الدّار البيضاء، المغرب، 2002م.

- الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب دراسة في ضوء علم اللّغة ياغي أحمد بن عبد ربه، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه، إشراف: حلمي خليل قسم اللّغة العربيّة واللّغات الشّرقيّة كليّة الآداب، جامعة الإسكندريّة، مصر 1991م.

## الإحالات:

[1]- المعجم الموحّد للمصطلحات اللّسانيّة – انجليزي فرنسيّ عربيّ- ، المنظّمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم، مكتب تنسيق التّعريب، الدّار البيضاء، المغرب 2002م، (ص:62).

[2]- المعجم الموحّد المصطلحات الألّسنيّة –فرنسيّ انجليزي عربيّ- ، د/ مبارك مبارك، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، 1995م، (ص:120).

[3]- الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب دراسة في ضوء علم اللّغة، ياغي أحمد بن عبد ربه، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه، إشراف: حلمي خليل قسم اللّغة العربيّة واللّغات الشّرقيّة، كليّة الآداب، جامعة الإسكندريّة، مصر، 1991م، (ص:7).

[4]- علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ، محمود السّعران، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، (د.ت)، (ص:71)

[5]- ينظر: أسس علم اللّغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، مصر، 1987م (ص:37).

[6]- معجم المصطلحات الجغرافيّة، بيار جورج، تر: محمّد الطقيلي وهيثم اللمع المؤسّسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر والتّوزيع، (د.ط)،(د.ت)، (ص:61).

[7]- مقدّمة في لدراسة علم اللّغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة مصر، ط1، 2002م (ص:09).

[8]- مجلّة حوليّات دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ع5، 1976م (ص:107).

[9]- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[10]- علم اللّغة الاجتماعيّ، هدسون، تر: محمود عيّاد، عالم الكتب، القاهرة، مصر ط2، 1990م (ص:66 - 70)

[11]- ينظر: الأطلس اللّغويّ في التّراث العربيّ دراسة في كتاب سيبويه، د/ خالد نعيم، دار السّياب لندن، ط1، 2010م، (ص:11).

[12]- ينظر: مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1997م، (ص:153- 155).

[13]- ينظر: اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّرا، عبد الغفّار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي لبنان، ط2 1990م، (ص:403).

[14]- ينظر: مدخل إلى علم اللّغة، رمضان عبد التّواب، (ص:159).

[15]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:162- 163).

[16]- وكذا ينظر: الاقتراح في علم أصول النّحو، السّيوطي جلال الدّين، تح: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشّافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 1998م، (ص:33- 34).

[17]- كتاب الحروف، الفارابي أبو نصر محمّد، تح: محسن مهدي، دار الشّرق، ط2 (د.ت)، (ص:147).

[18]- السّماع اللّغويّ العلميّ عند العرب ومفهوم الفصاحة، الحاج صالح عبد الرّحمن موفم للنّشر، ط1، 2017م، (ص:66).

[19]- المصدر نفسه، (ص:63).

[20]- ينظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر (المعروف باسم مقدّمة ابن خلدون)، ابن خلدون عبد الرّحمن بن محمّد، دار العلم بيروت، لبنان، ط6، 1986م، (ص:129- 130) و(ص:555).

[21]- ظهور الإسلام، أحمد أمين، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة، جمهوريّة مصر العربيّة، 2012م (214/1- 215).

[22]- ينظر: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي أبو عبد الله، دار إحياء التّراث العربيّ 1987م، (ص:75 و134و193 و283).

[23]- ينظر: المصدر نفسه، (ص:30- 39).

[24]- ينظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة أبو عبد الله محمّد بن عبد الله، مطبوعات أكاديميّة، المملكة المغاربيّة، 1997م (79/3) و(232/1)، و(387/1) و(273/4).

[25]- ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي شهاب الدّين أبو عبد الله، دار صادر بيروت، لبنان، (د.ت) (33/2).

[26]- الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب دراسة في ضوء علم اللّغة، ياغي أحمد بن عبد ربه (ص:131- 132).

[27]- ينظر: المرجع نفسه، (ص:122).

[28]- صفة جزيرة العرب، الهمداني الحسن بن أحمد، تح: أحمد بن عليّ الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط2، 2008م، (ص:248- 249).

[29]- الأطلس اللّغويّ، عساكر خليل محمود، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة مصر، 1953م المجلّد7، (ص:379- 384).

[30]- الأسس المنهجيّة والنّظريّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ، الخطابي إبراهيم محمّد، مجلة اللّسان العربيّ، 44ع، 1997م، (ص:119).

[31]- ينظر: الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب دراسة في ضوء علم اللّغة، ياغي أحمد بن عبد ربه (ص:474 - 490).

[32]- ينظر: مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، رمضان عبد التّواب (ص:149).

[33]- الأطلس اللّغويّ، عساكر خليل محمود، (ص:379).

[34]- المرجع نفسه، (ص:380).

مقدمة ابن خلدون، دار العلم، بيروت، لبنان، ط6، 1406- 1986.